بَلاغَة تَكرار الصَّدارة في الخطاب السيَّاسي

مثال: خطابات نيكولا ساركوزي لفيرونيك ماكري موركيس

ترجمة: د. طارق غرماوي *

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق

tarikrharmaoui@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020-06-12	2020-07-08	2020-07-30

ملخص

تتناول هذه الدراسة، بالتحليل، تكرار الصدارة البلاغي في الخطاب السياسي. ويتألف المتن المدروس من خطب المرشح الرئاسي الفرنسي نيكولا ساركوزي. وقد أجرت الدراسة، في البداية، تقييماً للضوابط التعريفية المتعلقة بتكرار الصدارة البلاغي، والتي تجعل منه وجهاً بنائياً، لتبحث، بعد ذلك، الرهانات التداولية لهذه الظاهرة البلاغية. وخلصت، في النهاية، إلى تعريفه، بوصفه وجهاً بنائياً وتفخيمياً وتأكيدياً، بأنه شكل- معنى داخل جنس خاص من الخطاب. وتبقى هذه الدراسة مقاربه جديدة يتقاطع فيها التحليل التداولي والنحوي والتحليل الكمي في آن واحد.

الكلمات المفاتيح: الخطاب السياسي- التكرار- تكرار الصدارة البلاغي- التداولية.

Abstract

The purpose of this paper is to analyse rhetoric anaphora in political discourse. The analysis is based on the speeches of N. Sarkozy during the election campaign. In a first part I will discuss the definitional criteria of anaphora as a structural figure ; the second part studies its pragmatic function. Anaphora can be considered as a structural, hyperbolic and assertive figure of speech, which defines a significant form-sense pattern in a particular genre. The paper presents a new approach of rhetoric anaphora and combines pragmatic and syntactic, qualitative and quantitative analysis

Keywords : Political discourse, Repetition, Rhetoric Anaphora, Pragmatics

* د. طارق غرماوي tarikrharmaoui@gmail.com

متن الدراسة:

شكَّل تكرار الصدارة، منذ القديم، موضوع تعريف قار، فقد جرى تقديمُه بمثابة ضربٍ خاصٍّ من التَّكرار يُحدَّد بموضعه في الملفوظ. فهو: "**تكرار كلمة أو مجموعة كلمات في مقدمة مجموعة من الملفوظات أو التراكيب المتتابعة** " (Bonhomme 2005 :64) . وينظر إلى موقعه في مستهل مقطع من الخطاب بوصفه أحد المواقع الأكثر بروزاً، وبوصفه معياراً توزيعيّاً تمييزياً لتصنيف مختلف أصناف التكرار.

والغرض من دراسته، منذ البداية، باعتباره وجهاً وتمييزه بوصفه بلاغياً، هو فصله عن الظواهر النحوية كتكرار تركيب اسمي باستعمال الضمير. وهو يفلت، بالقوة، من الانتقادات التي من شأنها أن تعد التكرار نتيجة للسهو؛ إنه على العكس، نتيجة اختيار واعٍ للمتكلم، ويكتسي وضع وجه بلاغي يستحق تحديد رهاناته.

إنَّه يُعد وجهاً بنائياً من صنف ميكروبنيوي وتنويعاً أساسياً للتكرار. ويمكنه، مع ذلك، أن يكون أساساً لأوجه ماكروبنيوية للإطناب على مستوى البناء النصي (Molinié1992 : 292-293). ويحظى تكرار الصدارة في بعض معاجم البلاغة بتوسع في المعنى إذا استعمل مصطلح (anaphore) للدَّلالة على" إعادة كلمة أو مجموعة كلمات، في مقطع من الخطاب، على الأقل مرَّة واحدة، في موضع ما من النص أيّاً كان هذا الموضع". (Molinié1992 : 49)، وعندما نحتفظ بالمصطلح الخاص (épanaphore) فلإرادة "**التكرار الحرفي للعناصر نفسها، في الموضع ذاته من التركيب، والذي يكون في الصدارة دائماً**" (Molinié1992 : 136-137). ونحن نعتبر، في هذه الدراسة، أنّ التكرار ينبغي أن يتصدر وحدة نصية (مقطع من جملة أو جملة بأكملها)، حتى نتعامل معه بوصفه تكراراً للصَّدارة .

وما إنْ نستبعد خطر الحشو الذي يُفضي إلى جُمود النص، و يؤدي إلى التكرار العقيم الذي يبدو كعرَض لاندفاع مرضي نحو التكرار، حتى يمكننا أن نطرح إشكالية تكرار الصَّدارة البلاغي التي تروم، في الوقت ذاته ، تعديل ضوابط التعريف.

يتضمَّن متنُ الدراسة خطاباتِ **نيكولا ساركوزي**(Nicolas Sarkozy) في التجمعات الخطابية التي ألقاها ما بين ديسمبر 2006 وماي 2007 [1] . وينبغي أن نحذَر، منذ البداية، من التحليل الجزئي، الذي يُمكن أن يُنجز فيُعنى بالنصوص المكتوبة، ويفقد، في الواقع، كل سيطرة على ترسانة أحدثتها الشفاهية، و حضور الصوت، والحركات، والنظر بالعين، و"كامل العرض"(Molinié1992 : 6) الذي يشكله الأداء الشفهي. ومن جهة أخرى، يتوجب على كل ملاحظة تتعلق بالترقيم أن تتوخى الحيطة، لأن هذه العلامات الخطية لا يمكن أن تعتبر نقلاً أمينا للمقاصد ولكل الوقائع النثرية التي يختارها الخطيب. وبالمجمل، سيجعلنا اهتمامنا بالنصوص المكتوبة فقط، أمام أسلوب **هنري كينو**(Henri Guaino) أكثر من أسلوب نيكولا ساركوزي. ولكن مع ذلك ، فإن الأول يكتب للثاني، وكلاهما الكاتب والخطيب يشكل ثنائيّاً يصعب، في النهاية، تمييز بعضهما عن بعض. ويندرج الخطاب السياسي للحملة الانتخابية ضمن جنسٍ نصِّي يقع في منتصف الطريق بين النص المكتوب والنص الشفهي العفوي. إنَّ الأمر يتعلق بنص مكتوب مُعَدٍ ليُلقى شفاهةً ويدرك بالأذُن. وهو، مُقدَّماً، نص هَجِين يبتعد عن المكتوب الموجَّه، بالأساس، للنشر وللقراءة، كما يبتعد عن النص الشفهي العفوي الذي تتغير بِنيتُه بالتفاعل مع عملية التلقي الموازية.

إنَّ معايير تعريف تكرار الصدارة البَلاَغي ستطرح، في البداية، بصفة إشكالية باعتباره وجهاً بلاغياً يتدخل في البناء النصي قبل أن يتم تقدير الرهانات التداولية لهذا الوجه البلاغي ضمن سياق الخطاب السياسي للجملة. فهل من الممكن أن نؤوِّل تكرار الصدارة البلاغي كشكل – المعنى؟

تقترح هذه الدراسة مقاربة جديدة لتكرار الصدارة البلاغي-من جهة المتن المختار للدراسة، ومن جهة الإطار المنهجي الذي تلتقي فيه التداولية والنحو و تحليل المعطيات النصية (textométrie)، ومن جهة الخلاصات التي تقترح تحليل تكرار الصدارة البلاغي بوصفه شكلا– معنى دال داخل جنس معين.

تكرار الصدارة البلاغي والبناء النصي

إنَّ تكرار الصدارة البلاغي، الذي يُعرَّف بأنه إعادة للمقاطع نفسها على طول خطاب ما، يقع في قلب مُفارقة وهي: كيف يمكن للخطاب أن يتقدم بالتكرار؟ بأيِّ كيفية يمكن لتكرار الصدارة أن يُقدَّم بوصفه"عامل بناء نصيٍّ"، أو بوصفه "عامل نصية" (Adam 1999 :172) إذا كانت النصية تعادل "توازن دقيق بين استمرارية–تكرار من جهة، وتَقدُّم الإخبار من جهة أخرى"(Adam 1990 :45) ؟

1.1 مدى تكرار الصدارة البلاغي

إنَّ أول ضابط ينبغي تقييمه يتعلق بالمسافة بين توارد ونظيره الذي يمثل رجْعاً له، وهو ما ندعوه، هنا، مدى تكرار الصدارة. ويكون تكرار الصدارة البلاغي إجراءً داخل الجملة؛ وذلك لما يفتح التكرار مقاطع من الجملة أو مقاطع عابرة للجمل(transphrastique) عندما تكون جمل هي المقصودة. إنَّ تكرار بنيتين متطابقتين في صدر جملتين متتابعتين، ولكن ليس بالضرورة متجاورتين، يحدث، في التركيب النصي، بتعيين مقاطع نصية مترابطة من خلال هذا المقطع المشترك والمتكرر. وعلى هذا النحو سيتم توسيع حَدِّ تكرار الصدارة البلاغي ليصبح كالآتي: هو تكرار لبنيات بذاتها ينتظم النص، حتى وإن وُجِدت بعض الأسطر من المسافة بينها.

إنَّ اختيار المتن الذي يُجمِّع الشكل المختصر للخطابات الشفهية يحل مسألة القدرة الاستيعابية للمستمع. فالنصوص قصيرة بما يكفي؛ حتى تتمكن أذن المستمع من التقاط عودة البنيات ذاتها. وقد تمت إقامة ترابط بين العديد من المقاطع التي تتآلف فيما بينها لتكوين وحدة معنوية (unité de sens)، والمستمع يتفطن لهذا الترابط.

إن ترداد العبارات يتخذ شكل هيئة ابتهال ديني عندما تتوالى التواردات متماثلة:

استسلمنا أمام إيديولوجية مايو 68.

استسلمنا أمام منطق المساعدة.

استسلمنا أمام الهجرة غير المُتَحكم فيها.

استسلمنا أمام الفكر الطائفي.

استسلمنا أمام مفهوم جامد ودوغمائي للمساواة. (Meeting de Charleville Mézières ,18 décembre 2006)

هذه التكرارات في مفتتح الجمل المتتابعة ليست ضرورية لفهم الرسالة من الزاوية الإخبارية، ولكنها من منظور تداولي تمثل قيمة سلبية للمقطع المكرَّر الذي تم التشديد عليه. فالمقطع ***"استسلمنا أمام"***،

بإمكانه أن يُتبعَ بتعداد بسيط للتراكيب الاسمية المنظَّمة بروابط التبعية، دون تكرار المحمول الفعلي. إن التكرار المتطابق يُبدِّل الخطاطة النحوية والنغمية للملفوظ : فبدل السلسلة المتصلة القابلة للإنجاز من خلال التعداد الذي ينقل اهتمام المستمع أو القارئ نحو تتمة المحمول الفعلي باللعب على أسلوب التجميع (accumulation)، تحلُّ ظاهرة الإطلاق النحوي المُجدَّد، لمصلحة مدلول عام ، " يرمي إلى مزج التكرارات (itérations) المسموعة ضمن النبرة الدلالية نفسها."(Molinié 1986 :99) . ويبرز مدلول مشترك وعام، منبور في مقطع مكرَّر، يضاعف من القوة الخطابية للمجموعة الفعلية القيمية. إن قيمة التكرار المتطابق في صدارة الجملة هو أكثر تعبيرية وتحريضاً منه إخباريًّا.

وبالمقابل، تُقوِّي الملفوظات المكرَّرة في جمل متباعدة بنية الخطاب: هذا هو حال خطاب **نيكولا ساركوزي بأنجرس**(Angers) (فاتح دجنبر 2006) والصيغة البرنامجية ***"أقترح عليكم"*** التي يقدم لنا المقطع الموالي نموذجاً غير مكتمل عنها. وفي جميع الأحوال تفتح التراكيب الثلاثة، هنا، فصولاً أو مقاطعَ شعرية تجري على طول تعداد تكرارات الصدارة، التي ترمي إلى إغناء تتمة الجملة المضاف من خلال صيغة ***"أقترح عليكم"*** :

أقترح عليكم رؤية طموحة عن المدرسة.

مدرسة يحصر فيها التعليم الأولي هدفه في إعطاء الأطفال القواعد الأساسية التي لا يمكنهم من دونها أن يعيشوا حياة الراشدين.

مدرسة تحصر فيها الإعدادية هدفها في إعطاء التلاميذ الرغبة في مطالعة الكُتاب العمالقة[...].

مدرسة تحصر فيها الثانوية هدَفها في إعداد أكبر عدد من التلاميذ للتعليم العالي [...].

مدرسة تحصر فيها الجامعة هدَفها في أن تستعيد مكانتَها في المراكز الأولى في التصنيفات الدولية لمؤسسات التعليم العالي[...].

مدرسة لا تخشى أبداً، قرناً بعد جيل فيري(Jules Ferry)، "أن تُعوِّل على الأساتذة كي تُعلِّم التلاميذ فنَّ العيش من خلال الأسلوب الذي يعيشون وِفقَه معهم وأمامهم " .

مدرسة تمنح الرغبة في بذل الجهد من خلال متعة الصعوبات المتجاوزة.

[...]

مدرسة تمنح الثقة في النفس[...]

أقترح عليكم مدرسة تنمي التفكير النقدي والتفكير الحقيقي.

مدرسة تعتبر أن أجلَّ خدمة يمكن أن نقدمها للطفل هي أن نعلمه التفكير.

مدرسة في مستوى عصرها[...]

مدرسة لا تجري الامتحان على الجميع[...].

مدرسة غير متطلِّبة مع الفئات الأكثر فقراً،لأن المدرسة هي ملاذ المعدمين.

مدرسة تدري على وجه الحقيقة، أنها باضطلاعها بوظائفها الأساسية، تكون قد أنجزت الكثير من وظائفها الثانوية[...]

أقترح عليكم مدرسة تكون فيها للأسر حقوق، وواجبات كذلك.

مدرسة يُحترم فيها الأساتذة، ويُرقَون.

مدرسة تكون فيها ترقية الأساتذة على أساس الاستحقاق، وليس على أساس انخراطهم النقابي.

مدرسة يُقدَّر فيها التلاميذ، ويُثقَّفون أيضاً.

مدرسة تعد، مع أندري جيد، " التربية تحرُّراً".

إن وظيفة تكرار الصدارة البلاغي تتمثل في التدخل في تنظيم الملفوظ فيصبح شأنه شأن الروابط الحجاجية البسيطة أو الروابط الزمنية، من شاكلة: "بداية، بعد ذلك، أخيراً". هذه التكرارات تمكن من التحكم في الخطاب من قبل المتكلم وترشُد المستمع، الذي لا يجد الوقت في العودة إلى الوراء، وإعادة قراءة النص، ومراجعة تتابعه، كما هو متاح القارئ. إن المعنى يتشكل، هنا، تدريجيّاً وبالتوازي مع التلفظ بالنص. و يلعب تكرار الصدارة دوراً عابراً للجمل (transphrastique) مجسداً العلاقة مع السياق

السابق، وخادماً التشوير النصي (balisage textuel) (Riegel §alii 1944 : 380) في التنظيم العام للخطاب.

2.1 سعة تكرار الصدارة البلاغي

إذا كان تكرار الصدارة البلاغي يمثل وجهاً بلاغيّاً حاضراً بقوة في متن ساركوزي، فإنه يعرف تنويعات تشهد على مرونته البنائية. إذ يمكن أن يتعلق، دون قصد ، بكلمة (لأنَّ ، خطاب **فيليبون** (Villebon) ،20 **مارس**،2007)، أو بتركيب اسمي (الجمهورية الحقيقية)، أو بجملة (أقترح عليكم)، وبجملٍ ناقصةٍ (من لم يُرد احترام) (كانت مدرسة، خطاب **ليون**Lyon ، 5**أبريل**2007)، وبجمل تامَّة (هذا لا يمكن أن يستمر(**تولون** Toulon ،7 **أبريل** 2007)، لقد ضجرتم (**ليل**Lille ، 28 **مارس** 2007).

إن تكرار الصدارة البلاغي وجه بلاغي مرن، يمكن أن يُختصر أو يتمدَّد حسب مشيئة التطورات. ففي المقتطف الآتي تتغير التكرارات بحسب مراوحة الكلمات الرابطة "في هذه المدينة التي/ حيث/ فيها":

في هذه المدينة التي أرادت المعاهدة القضاء عليها،[...]

في هذه المدينة حيث سقط العديد من ضحايا المجازر الثوريَّة.

في هذه المدينة حيث لم يُنس عمال الحرير الذين أثخنت الثورات اليائسة القتل في أوساطهم.

هذه المدينة التي أصبحت فرنسية منذ سعة قرون، وأصبحت عاصمة روحيَّة وتجاريَّة وصناعيَّة.[...]

في هذه المدينة عُرِف ثمن العَرق، وقيمة الجهد والتضحيَّة.

في هذه المدينة اخترعت مهنة النسيج، والسينما، والبنك العصري.[...]

في هذه المدينة التي احتضِن فيها دائماً الرِّجال والأفكار والثقافات، كما احتضنت فيها رؤوس الأموال والسِّلع.

في هذه المدينة التي وعدت فيها ميشلي (Michelet) العظيمة بأن تُوحِّد الشعوب مثل الوديان.

في هذه المدينة، جئت لأقول في هذه المنطقة أن مستقبلنا ومستقبل فرنسا و الفرنسيين لا يرتهن إلاَّ بأمر واحد: عملنا، وابتكارنا، وإرادتنا .[...]

في هذه المدينة، وفي هذه المنطقة، جئت لأقول أنه ليست هناك قدريَّة لا في البطالة، ولا في انعدام الأمن، ولا في الهجرة غير المتحكم فيها، ولا في انهيار فرنسا .

.(Lyon , 5avril 2007)

هذا التغير لا يشوش على تعرُّف التَّكرار. ويمكن أن تُقترح، هنا، نظرية الحافز(la théorie du motif) مثل نموذج للكشف. ويُعرَّف الحافز بوصفه "عنصراً بنائيّاً في النسيج النصي"(Longrée Luong, Mellet 2008 :733-734,)، وبصفة أكثر تجريدية، بوصفه "مجموع ثانوي منتظم من (م) مكون من الجمع المتكرر لعدد من عناصر المجموع (م) مزودة ببنيتها الخطية" (نفسه). وميزة هذا التعريف تتمثل في كونه يسمح بأن تدرج ضمن تكرارات الصدارة الخطاطات النحوية المتطابقة وليس فقط التكرارات المعجمية: كلمات تلو أخرى. ثمة مثال دال يجسد بتوارده في المتن المدروس نموذجاً للتعريف وفق النموذج النحوي للجملة التفخيمية من خلال التفكيك الأيسر، من صنف: *س ن هو*، الذي يشتغل بمثابة نواة إسمية. ويمنح خطاب مؤتمر حزب الاتحاد من أجل حركة شعبية (UMP) (14 يناير 2007) العديد من الأمثلة المتتالية.

جمل تتوالى تنفتح على مجموعة تكرارات "***هدف الجمهورية هو***" متبوعاً بالمصدر،

وجملة محمولة، وتركيب اسمي، بفضل لعبة التعاقب على المحور الاستبدالي الذي يعول على التوافقات الوظيفية (les équivalences fonctionnelles). وقد تغير التركيب مرة أخرى في الأسطر اللاحقة إلى"***الجمهورية الحقيقية هي***"، المكررة بتنويع في النفي، "***ليس هو***".

هدف الجمهورية هو أن تنزع من قلب كل فرد الشعور بالظلم.

هدف الجمهورية هو أن تسمح لمن لا يملك شيئاً أن يعيش مع ذلك إنساناً حرّاً [...].

هدف الجمهورية أن تتساوى حظوظ النجاح بالنسبة للجميع.[...]

هدف الجمهورية هو الاعتراف بالعمل كمصدر للملكية والملكية كتجسيد للعمل.[...]

الجمهورية الحقيقية هي الجمهورية التي لا تكتفي بكتابة الحرية، والمساواة، والإخاء على معالمها، ولكن تكتبها في واقع الحياة اليومية.

الجمهورية الحقيقية ليست هي الجمهورية التي يتلقى فيها الجميع الشيء نفسه[...].

الجمهورية الحقيقية هي التي تقدم الكثير للذي يرغب في إنقاذ نفسه، وتقدم أقل من ذلك للذي لا يرغب في فعل أي شيء ولا يقبل المجتمع أن يعيش عالة عليه.

الجمهورية الحقيقية ليست هي الجمهورية التي لا حديث فيها إلاَّ عن الحقوق و الواجبات[...]

ينهض هذا الخطاب على خطاطة ثنائية يتعارض فيها محمولان: حقيقي و افتراضي. والتضاد مدعوم بالصدى الصوتي للنهايات، ويلعب على المنطق الصدقي (véricondition**n**elle) للصحيح و الخطأ، وهذا الأخير بصفته مستدمجاً بكيفية تلطيفية (euphémistique) في الافتراضي. إن الخطاطة التعريفية معادة لصالح *الجمهورية الافتراضية*:

الجمهورية الافتراضية هي التي تجعل التلميذ مساوّياً للمُدرِّس.[...]

الجمهورية الافتراضية هي التي تريد منح الشواهد للجميع بتخفيض مستوى الامتحانات.

الجمهورية الواقعية هي التي تريد منح تكوين لكل فر د [...].

الجمهورية الواقعية هي التي لا تكون فيها الرياضة حكراً على الشَّباب أو إلى أقليَّات مشهودة ولكن تتحول فيها إلى مدرسة للحياة[...]

الجمهورية الافتراضية هي التي تمارس المساعدة المعمَّمة ولكن تترك الناس يموتون على قارعة الطريق.[...]

الجمهورية الواقعية هي التي تجسد الحقوق التي تنادي بها.

هذه الأمثلة تُلحَق بحالات التعريف الشفهي الذي قدَّمه ش. بيرلمان (C .Perelman) وألبرخت تيتيكا (Olbrechts-Tyteca) (2008 : 233) : شبه التعريف هو، على وجه الحقيقة، تعريف

جزئي، يُبرِز فقط بعض وجوه الواقع، منتقاة بالنظر إلى الأثر الذي تحدثه لدى المستمع، وهو أمر مُباح في الخطاب السياسي الذي يتطلَّع إلى إشراك المستمع.

كل حِجَاج يتضمَّن انتقاءً مُسبقاً، انتقاء للوقائع والقيم، ووصفها بطريقة خاصَّة، في لغة مُعيَّنة، وبإلحاح يتنوَّع بحسب الأهمية التي نُضفيها عليه. (Perelman 1977 :48).

من السهولة الاستدلال على مُرونة تكرار الصدارة البَلاَغي عن طريق البحث الآلي. وقد تمَّ إنجاز محاولة تجريبية على هذا المتن بواسطة برنامج (TXM[2]) الذي يُمكِّن من البحث عن مقاطع مُكوَّن مِن عددٍ مِنَ العناصر اللغوية، في صدارة الملفوظ. وهذا يسمح، من جهة، بتشغيل امتداد السلسلة المبحوث عنها، وبتعيين المقاطع المعادة الأكثر تكراراً من جهة أخرى. كما هو المثال بالنسبة للسلسلة ***"أريد أن أكون الـ"*** التي تأتي في صدارة المقاطع المتكررة في بداية الملفوظات بـ 146 تواردا في متن الخُطَب، هذه العبارة تحتفظ بموقعها في أول موضع من السلسلة المتكررة المؤلفة من أربعة عناصر لغوية (**أريد أن أكون الـ** -132 تواردا)، وخمسة عناصر لغوية (**أريد أن أكون الرئيس**-112 تواردا)، وستة عناصر لغوية (**أريد أن أكون رئيسا لـ**-58 تواردا)، وسبعة عناصر لغوية (**أريد أن أكون الرئيس لِفرنسا**-52 تواردا)، وثمانية عناصر لغوية (**أريد أن أكون الرئيس لفرنسا التي**-38 تواردا)، قبل أن يُحجبَ ذلك بالسلسلة المؤلفة من تسعة عناصر لغوية بواسطة الصيغة (**لماذا كل هذا الحقد ؟ ألا ننى قلت إنَّ**- 38 تواردا).

3.1 اتساق وانسجام

يلعب تكرار الصدارة البلاغي دوراً هندسيّاً (Bonhomme 1999) واتساقيّاً من الواضح أنه قويٌّ جدّاً، بما أنَّه يقوم بوظيفة الرابط داخل الجملة وبين الجُمَل. إنَّ التناقض بين تكرار وتقدُّم الخطاب، الذي يُريد، ويجب، أن ينفلت من الإعادة، يفرض أن نستنتج، ما وراء التوالي، تقدُّماً. هذا التقدم يكشف عن اتجاه اللاَّئِحة الذي يفرض عناية خاصَّة جِدّاً بالعنصر الأخير في اللائحة. ما الذي يبرر وجوده في آخر موضِع كنهاية لتعداد؟ والسؤال اللاحق يتعلق بالعلاقات القائمة بين العناصر المتتالية: هل تنشأ بينها علاقات متكافئة أم تراتبيّة ؟ إن متتاليات تكرار الصدارة من الكثرة بمكان في خُطَب نيكولا ساركوزي

حتى ليصعب معالجتُها جميعاً في هذه الدراسة. وفي بعض الأحيان، تشير بعض الروابط إلى نهاية اللائحة، مثل "وفي الختم": "***وفي الختم أريد أن أعبر لكم عن فرحتي بالاستحقاقات التي تقترب***"

(décembre 2006)Angers,1er؛ فالعنصر اللغوي الأخير يمكن أن يشتغل، أيضاً، كنهاية خطابية لتعداد طويل لايفيد إلاَّ كنوع من التمهيد التقديمي: هي حالة السلسلة التي تنتهي بالتصريح "***هذا المساء جئت لأقول لكم أنني المرشح***" أو بالصيغة من صنف"***أنتم على صواب***" التي تتكرر متصادية مع تكرار الصدارة البلاغي في مفتتح الخطاب "***لقد ضَجِرتُم***"، في مقام حكمة الخاتمة (épiphore) هذه المرة.

إنَّ ما تحقق هو، في حقيقة الأمر، تكديس أكثر منه تقدُّم يقوم على الإرداف الفصلي (parataxe asyndétique)[3]على مستوى العلاقات بين الجمل(inter phrastiques). ويفرض تكرار الصَّدارة، في حَالة إِردَاف، قراءة جدولية للنص تَتَبنْيَن على توالي صيغ متماثلة، غير مرتَّبة تدريجيّاً ومستقلة، بمعنى، وعلى خِلاَف مَا يجري في تكرار الصَّدارَة النَّحْوي، لا يتعلَّق التأويل المرجعي للعنصر المكرّر بالعنصر الأصل. فالعناصر توضع على اللاَّئِحة، دون رابطٍ سَببي يُؤلِّف بينها ويُبرِّر تجاورها؛ فاللاَّئحة، نظريّاً، مفتوحَة ولا محدودة. والتواردات تتابع، ظاهريّاً، متماثلة شكلاً، ولكنَّ كِتابتها في السِّلسلَة الخطيَّة تدل على اختلاف أو تنويع من تردد إلى آخر.والتردُّد الثَّاني يَجد أسَاسَه في التردد السَّابِق على الرُّغم من أنَّ معناه لا يرتبط بالتردد الأوَّل، كما في حالة تكرار الصَّدارة النحوي، وهذا، غير محدود من النَّاحيَّة النظريَّة، مقيماً بنية تراكميَّة متكررة تجعل من كل توارد مقطعاً من مجموع جامع ومنسجم في ظاهره. ويتقاسم التكرار البلاغي(épanode) مع تكرار الصدارة البلاغي خطاطة نثرية مماثلة بهذا المعنى من هذين الوجهين اللذين يُمكِّنان من إعادة انطلاق الخطاب: محمول مدمج في تغيير نظمي مغلق ومشغل من جديد في الظاهر كمحور خطابي لتقدُّم يتبَعُ ويُمكِن، من جهة أخرى، أنْ يجدَ ثانية دينامية تكرار الصدارة.

إن التكرار البلاغي (épanode) يشتغلُ كمبدأ مُنتجٍ للخطاب، مبدأ، إذا جاز القول، للتكوين العفوي. ويُمكن تقديم المزيد من الأمثلة. وهذا مثال شاهد ينتظم حول كلمة "***حَقِيقَة***" . تنجز سلسلة خطابية تعطي هيئة اتساق يقوم على تكرار وحيد للمفردة الأخيرة، وعلى استعراض رابط سببي وهو ما يسمح بالحفاظ على الخيط الناظم للخطاب، على سبيل الحجاج:

أريد أن أقول الحقيقةَ للشباب.

لأنَّ هذه الحقيقةَ واجبة علينا جميعا إزاء أبنائنا.

الحقيقة هي أنَّ الإبقاء إلى أجل غير مسمى على الشباب في حالة من الارتهان و الإعالة، يفقدهم، شيئاً فشيئاً، عزة النفس.

الحقيقة أنَّ ليس ثمَّة شيء مجَّاني وأن كل شيء ينال على وجه الاستحقاق.

الحقيقة هو أنَّ العمل هو الذي يخلق العمل.

الحقيقة أنَّ الشباب لا يتسامح مع كل شيئ.

[...]

الحقيقة أنه لا نسدي خدمة للشباب بمعاملتهم كأطفال.

الحقيقة هو أننا عندما نغلقهم على أنفسهم، فإننا نحرضهم على أن يصبحوا نهايتهم الخاصة، وعندما نبحث على نحميهم من كل المخاطر، فإن ذلك لا يحمي الشباب، بل يفسدهم.

الشباب ليسوا بحاجة على أن نساعدهم على أن يبقوا شباباً. الشباب بحاجة إلى المساعدة كي يصبحوا راشدين. (Nice ,30 mars 2007)

وفي المثال التالي، يتدخل الأسلوب ثلاث مرات، مصاحبا ثلاثة إمالات (inflexions) للخطاب تتمحور حول التراكيب "حريتكم"، و"الفكر الوحيد"، و"الترتيب"(VI^{e}) وُضِع محلَّ الجمهورية الخامسة.

سأعيد إليكم حريتَكم.

حريتَكم في الاختيار.

حريتَكم في التفكير.

أريد أن أقطعَ مع الصواب السياسي، ومع الفكر الوحيد.

أريد أن أقطع مع الفكر الوحيد الذي هو نقطة التقاء لكل التنازلات،ولكل التعصب الحزبي، ولكل الغطرسات.

أريد أن أقطع مع الفكر الوحيد الذي أوجدنا في الوضع الذي نحن فيه[...]

أريد أن أقطع مع الفكر الوحيد الذي يقول إن السياسة ليسَ بمُكنها لتغير أيَّ شيء، وليس بمكنها أن تقول شيئاً عن لاشيء.[...].

لا يمكن أن ننجز هذه القطيعة بالتخلي عن الجمهورية الخامسة (VI^{e}) للعودة إلى الجمهورية الرابعة بالادعاء أنَّنا نمارس الخامسة.

لأنَّ الأمر يتعلق، حقّاً، بهذا.

جمهوريتهم الخامسة هي عودة لنظام العجز،هي عودة لنظام الأحزاب،هي عودة للا استقرار. (Lille,28 (mars, 2007

يتم الخطاب ويلتف مثل لولب. يستند تكرار الصدارة البلاغي على عنصر مُطلِق(déclencheur) ولكن حدوثه احتمالي، ولا محدود نظريّاً تبعا لحركة لا متناهية. مجموعة من وجوه التكرار تنتظم في هذا المقتطف. أسلوب التسلسل المنطقي الذي يحدد ثلاثة محاور خطابية لإطلاق الخطاب تتضمن أسلوباً للاستقلالية النحوية والدلالية للمحمول: فالمفعول به « حريتكم » مأخوذ من نظام ثلاثي ومتدرِّج يكون فيه كل عضو مستقلاً من قبل بنية في حالة إرداف (parataxe)، والترتيب التصنيفي قابلة للنقل بوقفات مُمَيَّزة في الشفوي قادرة على عزل كل مقطع من الناحية النغمية.

ثمة تدرج دلالي بين العناصر الثلاثة بحسب تقدم نحو الحميمي: منذ إمكانية الاختيار حتى الفكر. وتحاول إعادة صياغة الفعل، التي تمت لاحقاً، والمعبر عنها بـ *أريد أن أقطع*" من خلال اسم « *هذه القطيعة* »، إعطاء ما هو مجرد مشروع حتى الآن تحققا منجزا في المحور الثالث من الخطاب، وهو« الجمهورية الخامسة » . إن أسلوب تكرار الصدارة سيتم استئنافه بصيغة ثلاثية في العديد من الفقرات: « لكل التنازلات، ولكل التعصب الحزبي، ولكل الغطرسات»، « بقوة عدم الفعل، بقوة عدم الكلام، بقوة عدم التفكير» ،« هي عودة إلى نظام العجز، هي عودة إلى نظام الأحزاب، هي عودة للاستقرار» .

يتألف الخطاب من نموذج كسري (fractal): بنية متنوعة ومضاعفة على عدة مستويات في النص تكسب، نتيجة لذلك، قوة تركيبية ودالة.

2 الرهانات التداولية لتكرار الصدارة البلاغي

2.1 القيمة التفخيمية

تعطي كتب البلاغة لتكرار الصدارة البلاغي، ولجميع أشكال التكرار، قيمة التفخيم والإظهار. إنها تصلح لتشغيل مرجع استعراضي (ostensive) (Bonhomme 2005 :112) والإبقاء على اهتمام المستمع ويقظته. والمحاور المفهومية التي تتوالى في الخطاب مثل نقاط نابذة (centrifuges) للخطاب تشتغل بمثابة ذروة طاقية (pics énergétiques) (Abiker 2008 :128). والمقتطف الموالي ينتظم، على سبيل المثال، حول ثلاثة محاور متتالية. **فرنسا**، و**اليسار**، و **نحن** وهي دائما تحتل الواجهة وتكوِّن ثنائية بين خصمين حول موضوع مشترك.

"إنَّ فرنسا تريد أفكاراً قوية، وهي لا تنتظر مفاهيم جوفاء. إن فرنسا تريد حواراً صادقاً، وهي لا تنتظر تلقي صدى محرَّف لخطابها . إنَّ فرنسا تريد أن يُقترح عليها مستقبلاً مختلفاً، وهي لا تنتظر أن يُقدَّم لها وصفات الماضي. إنَّ فرنسا تنتظر أن نرفعها نحو الأعلى، وهي لا تنتظر أن تشغل بوصفات جاهزة يتفق حولها الجميع".

إنَّ فرنسا على وعي بالتحديات التي يجب أن نرفَعَها.هي تريد أن ترسم لها آفاق، وأن تقترح عليها اختيارات، وأن تقدم لها الحلول.

هذا المساء جئت لأعبر لكم عن حسن طويتي وتصميمي.

إنَّ اليسار ليس له سوى غايةٍ واحدة، هي محاربة اليمين. لدينا طموح، هو أن نجعل من فرنسا بلداً يمكن أن يصبح فيه كل شيء ممكناً.

إنَّ اليسار ليس له سوى هدف واحد، أن تأخذ بثأرها. ليس لدينا سوى حلم واحد، هو أن يتحول المستقبل إلى رجاء.

إنَّ اليسار ليس له سوى نية واحدة، وهي أن يجمِّد البلد.

(Discours à Angers, 1erdécembre2006)

البروزات المحسوسة(saillances perceptives) (Lacheret 2007 :21) في وضعية الواجهة تسمح بالتقسيم إلى وحدات نثرية ونغمية، والتي يمكن أن تُسمَّى صغيرة بالنسبة لكل استئناف للكلام قبل أن يعاد تكوين الوحدة التي تجمع التواردات كوحدة كبرى، على المستوى النغمي وعلى المستوى الدلالي التداولي في آن واحد. ويمكن لقيمة خطابية أن تنسب إلى التقاطيع النغمية التي تُسهم في بناء الخطاب في حالة كلام مصاحب[4].

2.2 تكرار الصدارة والكلام المصاحب

سأستعين هنا بالتمييز الذي وضعه أ.رباتيل A.Rabatel (2012 :23-42)[5] بين الحوارية الذاتية والحوارية المتجانسة (auto-et hétéro dialogisme) ، وخصوصاً مفهوم الكلام المصاحب أو المُطابَقة المتطابِقة (concordance concordante).

في هذه الخطابات، يُهيمن المتلفِّظ –الخطيب على لعبة التلفظ، ليس فقط لأنَّه الصوت الوحيد الذي نسمعه، وهذا أحد إكراهات الجنس المدروس، ولكن، أيضاً، من ناحية استراتيجية تلفظية تبدأ بالنمو منذ ظهور صوت يعود للمؤلف يتسم بالسلطوية إلى درجة التلاشي التلفظي لصالح عملية تلفيظ مُعمِّمة.

إنَّ الكشفَ الأوتوماتيكي لسلاسلِ التكرارِيْن الأكثر وُروداً تُظهِر، من بين التواردات الأكثر قوة، خطاطات للملفوظات الإيقاعية لتكرار الصدارة التي تجمع بين الضمير *أنا* والفعل *أريد* (744 توارد)، *أتمنى* (144 توارد)، *أعتقد* (94)، *أقترح* (87 توارد)، *أكون* (15 توارد)، أطالب (48)، *أعرف* (44 توارد)، *أحلم* (144 توارد)، *أعتقد* (33 توارد). تكون الصيغة مضاعفة إيقاعياً عندما نسمع"***أنا أريد أن أعدهم***" . هذه الصيغ تجاور، مع ذلك، ملفوظات يتخلى فيها المتلفِّظ لصالح ملفِّظ مُعمِّم.

هي كل التعابير التي تظهر فيها الوجوه التعبيرية غير الشخصية التي تستخدم الضمير غير الشخصي (*on*) بقيمة غير محددة ومعمِّمة ، والفعل المصدر (infinitif) المتجرد من أي دلالة على الزمن، والتعابير بالضمير "*هو*" غير الشخصي، أو، أيضاً، الضمير المحايد في التعبير التقديمي *هذا* (*c'est*):

الحب، هو الشيء الوحيد الذي يعتد به حقاً[...]

الحب ! هو أن تخاطر لتعاني.

الحب! هو أن تلتزم، أن تضحي بنفسك من دون تحفظ، بعطاء لا محدود، هو إلغاء لكل الحواجز، ولكل المسافات، والقبول بأن تصبح حسَّاساً، ومرهفاً.

[Meeting au Zénith,18mars 2007]

يحدث أن تتحطم الأحلام. و ليس ذلك سببا كي لا نحلم أبداً.

يحدث أن الآمال تخيب. و ليس ذلك سببا كي لا نتمنى أبداً.

يحدُث أن تكون الحياة قاسية، أن تكون ثقيلة، أن تكون مؤلمة. و ليس ذلك سبباً كي نرفض أن نعيش. [نفسه] .

إنَّ الصوت المتلفِّظ يتحلَّل ضمن محفلٍ متجانس وغير محدَّد، أو بالأحرى قابل للتحديد لفكرة شائعة، ومعتقد راسخ. إن الملفوظات تكتسي، بهذه الكيفية، وضعية حقائق لا يرقى إليها شك لأنها تصبح بدائه. يتكيف الخطيب بكيفية استراتيجية مع جمهوره بإثارة أفكار يعرف أنه ينبغي أن تكون متقاسمة. هذه الخطابات يمكن أن تكون مرتبطة بجنس إشاري (épidictique)، والذي "هو في الوقت ذاته الأكثر بلاغة من كل الأجناس، والأقل حجاجية، والأكثر حساسية والأقل تقريراً، ولكنه، بالضرورة، الأكثر تصويراً" وتكون وظيفته الأساسية "إقامة أو الحفاظ على الوئام، والتوازن الاجتماعي"(Danblon 2013 :95-99).

يتم، في هذه الأمثلة، استدعاء المتخيل الجمعي. كما يمكن أن يتعلق تكرار الصدارة البلاغي ببنى جُمْليَّة شبيهة بما يدعوه أ.غالتاني (O .Galatanu) (جمل مفردة holophrases[6])، بالإحالة إلى مفهوم حالة الجملة المفردة (holophrastie) لـ« ج.غويوم »G.Guillaume. وإلى جانب تجاور المصاحبات اللفظية (collocations) مثل المجموعة ***"الجمهورية الافتراضية"***، تفرض الجمل المفردة مسكا جُملياً شاملاً وتجميعاً للوحدات اللغوية (items) التي تشكل وحدة واحدة. ومن بين المقاطع المؤلفة من خمس وحدات لغوية التي حددها برنامج (*TXM*) بوصفها الأكثر تمثيلية، يمكن لخمسة

منها أن تشتغل بمثابة جمل مفردة: ***"لماذا كل هذا الحقد؟"*** (44 توارد)، ***" لقد ضجرتم من كون"*** (40 توارد)، ***" لقد ضجرتم من"*** (15 توارد)، ***" هذا لايمكن أن يستمر"*** (13توارد)، ***"يجب أن نقطع مع"*** (9 توارد).

ويتضمن الخطاب الأول الموالي، علاوة على الخطاب المنقول، جملة مفردة أخرى: "***هذا ليس ممكناً***"، بتفكك مستقيم (en dislocation droite)، وفي وضعية تكرار في ذيل الجملة، هذه المرة بكيفية إبعادية، فصوت الآخر يتم تهميشه وإلحاق الخزي به. وتأتي قوة النص، هذه المرة، من تأثير النفي المزدوج: نفي من طبيعة دلالية في الجملة المفردة "***لقد ضجرتم***"، ومن طبيعة تركيبية ودلالية في الملفوظ: "***هذا ليس ممكناً*** "الذي يفتح، بكيفية ضمنية، وفي العمق، كل حقول الممكن، ويعكس كل الآمال التي تحملها الملفوظات الإيجابية المتطابقة.

لقد ضجرتم.

لقد ضجرتم من كون المناديب الأوروبيين

من كون مديري البنك المركزي

من كون الدواوين الوزارية

من كون الهيئات الكبرى

من كون الخبراء

من كون الأسواق

تفكر بدلاً منكم، وتقرر بدلاً منكم.

[...]

لقد ضجرتم من كون أوروبا ليست ديموقراطية.

لقد ضجرتم من كون أناس غير منتخبين، وليسوا مسؤولين أمام أي أحد، ولا يقدمون الحساب لأي أحد، يقررون فيما يخص حياتكم، وفيما يخص مستقبلكم، وفيما يخص مستقبل أبنائكم.

لقد ضجرتم من كون أناس يقررون بدلاً منكم، ولا يتحملون، أبداً، بأنفسهم نتائج ما يقررون.

لقد ضجرتم من كل هؤلاء الناس الذين يريدون دائماً أن يفرضوا عليكم تضحيات وليسوا بقادرين على أن يفرضوها على أنفسهم.

لقد ضجرتم من أن يُردَّد عليكم باستمرار أنه ليست هناك سوى سياسةٍ واحدة ممكنة وأنه ليس لديكم أي خيار.

لقد ضجرتم من يقال لكم:

"المزيد من النمو، هذا ليس ممكناً !"

"العمل الكامل، هذا ليس ممكناً !"

"العمل أكثر من أجل الربح أكثر، هذا ليس ممكناً !"

"الرفع من القدرة الشرائية، هذا ليس ممكناً !"

[...]

"الدفاع عن اللغة الفرنسية في مواجهة الإنجليزية، هذا ليس ممكناً !"

"الحفاظ على المصالح الاقتصادية الفرنسية، هذا ليس ممكناً !"

"التدبير الصناعي، هذا ليس ممكناً !"

"التضريب على التلوث، هذا ليس ممكناً !"

"منح الامتياز للسلع المحلية، هذا ليس ممكناً !"

"التصدي للمنافسة غير الشرعية، هذا ليس ممكناً !"

لقد ضجرتم من كون أن لا شيء أصبح ممكناً !

إنَّكم هنا لأنكم ضجرتم من أن يُقرر بدلاً منكم سواء أكان لديكم الحق أم لا في أن تقولوا ذلك.

لقد ضجرتم من الندم.

[...]

لقد ضجرتم من لغة الخشب وأنتم مُحقُّون.

إنَّكم هنا لأنكم ضجرتم من أن يُفرض عليكم ما ينبغي أن تفكروا فيه.(Lille, mars 2007)

هنا بـ **تولون** (Toulon)، كما في كامل فرنسا، أسمع هذه الصيحة التي ترتفع في أعماق البلد، والتي يبدو أن صداها يتردد من دون توقف: " لا يمكن أن يستمر هذا مطلقاً".

لا يمكن أن يستمرهذا مطلقاً: العمال الفقراء الذين يتساءلون ما العمل للنجاة.

لا يمكن أن يستمرهذا مطلقاً: القدرة الشرائية الضعيفة جداً، والأبناء المحكوم عليهم بأن يعيشوا أقل من مستوى آبائهم، وصعوبة السكن اللائق.

لا يمكن أن يستمر هذا مطلقاً: المستفيد من الدعم الذي يكسب أكثر من العامل، والمدرسة التي لا تعلم القراءة والكتابة والحساب بشكل صحيح.

لا يمكن أن يستمر هذا مطلقاً: العنف، ومُكررو الجرائم.

لا يمكن أن يستمر هذا مطلقاً: اللئام، وأرباب العمل اللئام الذين أفلتوا من العقاب.

لا يمكن أن يستمر هذا مطلقاً: التمييز، واللامساواة في الحظوظ، وتوقف الصعود الاجتماعي.[...]

لا يمكن أن يستمر هذا مطلقاً: فرنسا التي نعاين تفككها ونحن نعترف أننا لا نفيدها في شيئ. (Toulon, 7février 2007)

والقاسم المشترك بين هاته الجمل المفردة(holophrases)، وبين المصاحبات اللفظية، أيضاً، هو أنَّها بنيات مؤلَّفة مسبقاً وتندرج داخل الخطاب. (Charaudeau &Maingueneau 2002 : 274).

فالرهان، في هذا المقام، يتعلق بالإغراء أكثر من الإقناع بتكرار مسكوكات لغوية، غير قابلة للبرهنة. وعلى مستوى التفاعلات الاجتماعية، يتحدث أ. كريج بلانك (Krieg-Planque) عن صيغ مثل

الملفوظات المسكوكة "التي تعبر عن شيء ما بالنسبة للكل" (2009 : 54)، "مثل مجموعة من التراكيب التي تجسد، بفعل استعمالها في زمن معين ومكان عمومي محدد، الرهانات السياسية والاجتماعية التي تسهم هذه التعابير في إنشائها في الوقت نفسه".

(Krieg- Planque *ibid*. : 7)

تشغل هذه الملفوظات في موضع تكرار الصدارة البلاغي الموقف الموضوعي للجملة، والعناصر الإشارية (éléments pronominaux) التي تشتمل عليها لا تعلن بدقة عن المسندات (prédicats) التي تأتي بعدها. وبعبارة أخرى، لا يمكن أن نسند إلى "*هذا*" في "***هذا لا يمكن أن يستمر مطلقاً***" قيمة تأخيرية (cataphorique)، ولكن إحالة الجملة المفردة تتكوَّن على امتداد التعداد غير المتجانس. إن الجملة المفردة تحيل إلى تعبير لغوي مستهلَك بمضمون فضفاض، ولكن متفق عليه أو، على الأصح، متفق عليه لأن كل واحد يضع فيه شيئاً ما يريده هو، ومجموع المحمولات التي تأتي فيما بعد تخلق انطباعاً مختلطاً يشترك فيه المجتمع بكامله الذي يمنح دلالة شاملة وواضحة للجملة المفردة. وتكتسي هذه الجملة وظيفة خطابية و تداولية واضحة، وهي خلق اتحاد عاطفي مع المستمعين في وضعية تلفظ مشترك. فالصيغة "***هذا لا يمكن أن يستمر مطلقاً***" تتميز بالاشتمال على اسم الإشارة "***هذا***" الدال على الشفوية (oralité) لأن الأمر يتعلق بتعبير نموذجي للشفوي. وعدم قابليته للاستبدال مع الصيغة غير المدغمة (non contracté)، والمقدمة كمعادلة لـ"***ذلك***" ، تمحضه للاستعمال في الخطاب المشفَّه (oralisé). فاسم الإشارة هذا يلعب دور التمييز: فالمشار إليه لا يُهتدى إليه بأدق معنى الكلمة في السياق المباشر، ولكنه يعين مشاراً إليه قريب على المستوى المعرفي والعاطفي ومتقاسم بين الجماعة الملتئمة في التفاعل الكلامي.

يرمي تكرار الصدارة البلاغي إلى إنشاء علاقة الود هذه مع الجمهور، بمعنى خلق جماعة مشاعر، وربما على حساب إنشاء الخطاب بحسب الاصطلاحات البلاغية. وقد كان **ب.لامي** (B.Lamy) صار فيما يخص التكرار:

من الواضح أن هذه الوجوه لا تستحق، في ذاتها، إلاَّ تقديراً متواضعاً. فالخدعة التي نستعملها لصياغتها بالغة الحساسية، أو لنقل، بصراحة، فاحشة. وكذلك لغتنا العفوية لا تميل إليها، وكتابنا المرموقون يتلافونها. [...] وأصحاب المواهب الضحلة يعشقون هذه الوجوه البلاغية، لأن هذه الخدعة الضعيفة تتناسب مع مقدراتهم، وتتلاءم مع عبقريتهم.(B.Lamy[1715، 5e édition] 1998، 298)

ويتحدث **راباتيل** (Rabatel) عن " الوفرة الفقيرة" (Rabatel 2013) . ولكن تكرار الصدارة البلاغي يلعب دور المحرك الذي ينشط ويحيي الكتابة ويضاعف من القوة.(Tindale 2009)

من الجائز أن نُذكِّر في هذا المقام بالأصل الاشتقاقي لكلمة répéter (كرَّرَ)وهي من الفعل (peter) بمعنى البحث عن الوصول في حركة متجددة باستمرار ولا تصل إلى مبتغاها. ولكن بأي هدف مُبتغى يتعلق الأمر؟ وماذا تقدم تكرارات الصدارة البلاغية لبناء المرجع؟

3. تكرار الصدارة البلاغي وعملية الإحالة

3. 1 . تكرار الصدارة البلاغي والإيقاعية

إنَّ غاية خطاب الحملة الإشهارية ليس هو، مطلقاً، وصف واقع، أو إقناع المستمعين عن طريق تتابع منطقي من الجمل، ولكن غايته هي التأثير في المستمعين بـ"حقيقة ذاتية".(Angenot 1982 : 148)

تم تعريف التكرار كوجه بلاغي يدل على الحضور في: *Traité de l'argumentation*

(Perelman & Olbrechts-Tyteca 2008 : 236) . وللتكرار، بصفة عامة، أثر في حضور موضوع الخطاب في الذهن. ففي واقع الأمر، لا تُستدعى في تكرارات الصدارة البلاغية، في الخطابات المدروسة، مفاهيم، ولكن نماذج سوسيولسانية تجد، لا محالة، صداها في أذهان المستمعين؛ لأن لتكرارات الصدارة بعداً حوارياً؛ حيث يتم تحديد المستمعين والجمهور المستهدف الذين تكُون عقولُهم متأثرة بخطاطات جاهزة ومشكلة بنماذج تركيبية صغرى (لماذا كل هذا الحقد؟ هذا لا يمكن أن يستمر مطلقاً، لقد ضجرتم، وغيرها).

تدخل الخطابات في تناغم –بكل معاني الكلمة- مع الجمهور، وتربط سلسلةٌ من الود صوتَ الخطيب بآذان المستمعين. وكلمة الود يمكن أن نأخذها بالمعنى الموسيقي للمصطلح، للدلالة على أن

الأجسام الرنانة تدخل في تذبذب نتيجة سلسلة من الإثارات التي يقوم بها أحدها. تسهم تكرارات الصدارة البلاغية في البناء الصوتي والإيقاعي للخطاب. وتتردد في عقول المستمعين الكلمات والمقاطع المُسدَّدة، وتدخل في تناغم مع صيغ مسكوكة موجودة مسبقاً في أذهانهم. ويشكل الإلحاح سلطة قوية على الإقناع؛ فليست هناك أي فكرة جديدة مقدَّمة، وإحدى وظائف الجنس الإشاري (épidictique) الاستحواذ على انتباه من يفكرون مثلك، ويجد المتلقي فيما يستمع إليه نوعاً من تأكيد صيغ جاهزة اكتست الصفة الدائمة للأفكار المبتذلة السطحية. يذكرنا ج. مولينيي (G. Molinié) أنه في العهد الأمبيريالي كان بعض الخطباء ينشُدون خطبهم. (*Introduction* : 1992) . فتكرارات الصدارة البلاغية تشتغل مثل شكل لازمة نغمية، وتسهم بشكل من السحر الخالب أو، وبمعنى تنقيصي، بشكل من التسميم الجماعي[7].

تخلق هاته الخطابات، في نهاية المطاف، عالماً مرجعياً عن طريق التكرار، وعالماً تعريفياً على وجه التخصيص. وتأخذ بعداً ذاتياً غائياً (autotélique) بالعودة المستمرة إلى ذاتها، وكل إشارة تحيل إلى أخرى سابقة عليها، وهذا، من الناحية النظرية، إلى ما لا نهاية. يتشكل العالم من الخطابات، على امتداد تكرارات الصدارة البلاغية التي تكتسي بعداً إيقاعياً، بطابعها التأكيدي، أي معنى وجه بلاغي يقوم على: " طريقة التعبير التفخيمية للتأكيد"(Angenot 1982 : 238)

إنَّ الحجاج عن طريق الإلحاح (Angenot 1982)، والقول، الذي يتصدر واجهة المشهد التلفظي من خلال الوجه البلاغي المتباهي لتكرار الصدارة البلاغي، ينتهي إلى مراوغة كل قدرة على عملية إحالة الخطاب، فالخطابات تجد غايتها في ذاتها. والبنية النغمية التي ينشئها التكرار تسبق وتتقدم حتى مضمون تكرار الصدارة. فالبعد النغمي هو البعد الدال[8]. فالموضوع اللغوي، في كل خطاب، يندرج كقطعة ضمن المجموع الشامل المتألف من جميع خطابات الحملة الانتخابية لنيكولا ساركوزي.

2.2 تكرار الصدارة البلاغي كشكل- معنى

تنسحب خطاطة تكرار الصدارة البلاغي على مجموع خطابات نيكولا ساركوزي. إذ نجد في بعض الأحيان العبارات ذاتها في هذا الخطاب وفي ذلك. ويمكن أن نتعاطى مع التكرارات الخطابية، أيضاً، مثل أصداء مُبَنيِنَة بين الخطابات. إنها في النهاية مقاطع لوحدة أكبر، وتسلسلها المنطقي يخدم تكامل

الخطابات وانسجامها، أو لنقل خطابات الحملة الانتخابية لنيكولا ساركوزي.

إنَّ فعالية الخطاب تقوم على هذا الشكل-المعنى الذي هو التكرار، أو بالأخص، تكرار الصدارة البلاغي. وبكيفية رمزية يمكن لتكرار الصدارة البلاغي، الذي يعطي للخطاب بعداً عمودياً، أن يشتغل كاستعراض للسلطة. فالعلاقة العمودية والتراتبية للرئيس القادم للدولة بمنتَخِبيه تُحَاكَى عن طريق القراءة والإنصات الجدولي (tabulaire) للخطاب.

إنَّ تكرار الصدارة البلاغي، في هذه الخطابات، يتميز، في مجمله، بكونه وجهاً بنائياً، وتفخيمياً، وتأكيدياً.

إنه فكرة أساسية تمنح مفاتيح لشكل خطابي متميز، وموسوم تاريخياً وأجناسيا، وهو خطاب حملة نيكولا ساركوزي الخطابية. ويقيم تكرار الصدارة البلاغي قاعدة لتأليف خطاباته التي تقوم على استراتيجية التراكم والتكديس حيث تجتمع أصناف أخرى من التكرار مثل التكرار الختامي (épiphore) والتكرار البلاغي (épanode) لإنشاء خطاب لولبي. ولا يستدعي تتابع الملفوظات عبر التكرار الممنهج، بالمعنى الحصري للمصطلح، للمتواليات في حركة متماسكة للواجهة، بينما المستمع مبتلع من طرف هذا التتابع الجارف للتكرارات الذي يقف في مواجهته، والذي لا يسمح إلا بأخذ القليل من المسافة الممكنة.

يقوم التفخيم الممنوح لهاته العناصر المتكررة على معايير نغمية وصوتية وعلى معايير دلالية كذلك. وتهيمن بلاغة الوضوح عندما تظهر، على امتداد الخطاب، الخطاطات والنماذج المشكلنة (formalisés) في المصاحبات اللفظية والجمل المفردة. إنها نظرة جزئية للعالم تتشكل، ولكنها تريد أن تفرض نفسها بوصفها عالماً أصيلاً وكوناً مشتركاً مخلوقاً بالتواطؤ. و يتشكل المرجع عن طريق المصاحبات الكلامية (co-énonciation) بما أن هذه الخطاطات هي ما ينمذج المتخيل المعاصر بكل آلامه وأماله. وأكثر من ذلك، يكتسي تكرار الصدارة بوصفه وجهاً بلاغياً لتأكيد قدرة إيقاعية تخلق عالماً مرجعياً عن طريق المراهنة على تعاون ذاكرة الجمهور. سواء أتعلق الأمر بالذاكرة المعاصرة التي تسير على إيقاع الخطابات، أم تعلق بالذاكرة العميقة التي تتيح للخطابات بعداً احتمالياً بربطه بلا زمنية العبارات المكرورة والكليشيهات المعادة. فالخطاب يستحضر مجموعة من العبارات الجاهزة القادرة على إنشاء مجتمع، هو مجتمع المستمعين أنفسهم، المؤلَّف بشكل مسبق، والذي يختار فيه الأفراد ما يُقرب بينهم، وهي التي تربط الخطيب بالمستمع ضمن نموذج من الحجاج التعاوني (argumentation coopérative). (Tindale 2009) .

إحالات البحث

1- متن اقتبسه د. مايافر(D. Mayaffre) بموقع حزب: http://www.u-m-p.org/ . و تم نشر الخطابات بموقع الحزب وبموقع sarkozy.fr الذي إنشاؤه بمناسبة الحملة الانتخابية. وقد اختلفت الروايات من موقع لآخر. انظر في هذا الصدد: (L.-J. Calvet et J. Véronis 2008 : 26)

2- أتوجه بالشكر لبينيديكت بانسمان (Bénédicte Pincemin) على مساعدته في مجال تحليل المعطيات النصية على الموقع http://textometrie.ens-lyon.fr/spip.php?article60 . و ينصب البحث، هنا، على تكرارات الصدارة التي توجد في ناصية الجملة. وقد تم تحديد الجمل المدروسة بطريقة آلية من خلال موجه يرتكز على علامات الترقيم القوية.

3- يتضمن الإرداف (parataxe) التجاور (juxtaposition) و الربط (coordination) فيتحول إلى تجاور يعبر عنه من خلال حضور كلمة رابطة، وصيغة للربط، ومن خلال التجاور والفصل (asyndète).

4-Morel & Danon-Boileau (1998).

5- انظر:

A. Rabatel (2015). « Des répétitions dans le discours religieux : l'exemple des litanies », *Le Discours et la Langue*

6- يمكن أن نستحضر، أيضاً، صيغ أ. كريج بلانك، وستأتي لاحقا .

7-"ينتج الابتهال الديني أثراً للحقيقة (effet-vérité) وأثراً مغلقاً (effet-boucle) للخطاب الذي يبحث عن فقد المستمعين في محتوى يعود للأفكار دون عتبة الوعي (subliminal) أكثر مما يعود إلى المقترحات السياسية".

(De Cock, Madeline, Offenstadt, Wahnich 2008 : 114).

8- انظر ميشونيك (Meschonnic):. « le pouvoir de signifier sans signe » (1982 : 93). Le rythme est

مَصَادِرُ البَحْثِ وَمَرَاجِعُهُ

Abiker, S., (2008), *L'écho paradoxal : étude stylistique de la répétition dans les récits brefs en vers, XII^e-XIV^e siècles*, Poitiers.
http://nuxeo.edel.univpoitiers.fr/nuxeo/site/esupversions/b96f5709-0267-4e8a-a7db-6321dceaeed2.
Adam, J.-M., (1990), *Éléments de linguistique textuelle*. Liège : Mardaga.
Angenot, M., (1982), *La Parole pamphlétaire*. Paris : Payot.
Calvet, L.-J. & Véronis, J., (2008), *Les Mots de Nicolas Sarkozy*. Paris : Seuil.
Bonhomme, M., (1998), *Les figures clés du discours*. Paris : Seuil.
Bonhomme, M., (2005), *Pragmatique des figures de style*. Paris : Champion.
Charaudeau, P. & Maingueneau, D., (2002), *Dictionnaire d'analyse du discours*. Paris : Seuil.
Danblon, E., (2013), *L'Homme rhétorique : culture, raison, action*. Paris : éd. Du Cerf.
De Cock, L., Madeline, F., Offenstadt, N., Wahnich, S., (2008), *Comment Nicolas Sarkozy écrit l'histoire de France*. Marseille : Agone.
Dubreil, E., (2008), « Collocations : définitions et problématique ». [En ligne], Volume XIII - n°1/2 (2008). Coordonné par Christophe Gérard. http://www.revue-texto.net/index.php?id=126.

Fouquelin, A., [1555], *La Rhétorique.* In F. Goyet, 1990, *Traités de poétique et de rhétorique de la Renaissance.* Paris : LGE.
Galatanu, O., (1997), « Pour une analyse confrontative des 'holophrases' dans les langues romanes ». *LIDIL, Revue de linguistique et de didactique des langues*, 14, PUG : p.155-166. http://www.galanet.eu/publication/fichiers/galatanu.pdf
Krieg-Planque, A., (2009), *La notion de formule en analyse de discours.* Besançon : Presses universitaires de Franche-Comté.
Lacheret, A., (2007), « Prosodie-discours : une interface à multiples facettes », *Nouveaux cahiers de linguistique française*, p. 7-40. http://clf.unige.ch/ num.php?numero=28.
Lamy, B., [1715, 5e éd] (1998), *La Rhétorique ou l'Art de parler.* Paris : Champion.
LongrEe, D., Luong, X., Mellet, S., (2008), « Les motifs : un outil pour la caractérisation topologique des textes ». JADT.http://lexicometrica.univ-paris3.fr/jadt/jadt2008/pdf/longree-luong-mellet.pdf
Meschonnic, H., [1982] (2009), *Critique du rythme. Anthropologie historique du langage*. Lagrasse, Verdier.
Molinié, G., (1992), *Dictionnaire de rhétorique.* Paris : LGF.
Molinié, G., (1986), *éléments de stylistique française.* Paris : PUF.
Morel, M.-A. & Danon-Boileau, L., (1998), *Grammaire de l'intonation. L'exemple du français.* Paris : Ophrys.
Perelman, C. & Olbrechts-Tyteca, L., (2008) (6e éd.), *Traité de l'argumentation*, Bruxelles : Éditions de l'Université.
Perelman, C., (1977), *L'Empire rhétorique.* Paris : Vrin.
Rabatel, A., (2012), « Positions, positionnements et postures de l'énonciateur ». *Travaux neuchâtelois de linguistique*, 56, p. 23-42
Rabatel, A., (2013), « Le listeur/sur-énonciateur dans les listes de discours représentés dans les romans historiques », in Liste et effet liste en littérature. Paris : Garnier, p. 381-394.
Rhétorique et argumentation (2009), « Argumentation et analyse du discours » http://aad.revues.org/206.
RIEGEL, M., pellat, j.-C., RIOUL R.,(1994),Grammaire méthodique du français. Paris : PUF.
Tindale, C. W., (2009), « L'argumentation rhétorique et le problème de l'auditoire complexe », Argumentation et Analyse du Discours [En ligne], 2 | 2009, mis en ligne le 01 avril 2009, Consulté le 30 mai 2014. URL : http://aad.revues.org/493.

المصدر: SEMEN : Revue de sémio-linguistique des textes et discours, N°38, 2015.